المجلد: 07 / العدد: 01 / جوان (2023)، ص. 533/523

حماسة "الأمير عبد القادر الجزائري" في قصيدته "الباذلُون قُوسُهُمُ"

The Enthusiasm of "El Emir Abdelkader El Jaza'iri" in his poem "El Bathilouna Noufousouhoum".

د. تكتك إكرام

Ikramyousra4@gmail.com

جامعة أحمد درايعية أدرار

محمد بوزيزاوي*

Bouzizaoui mohammed¹

جامعة أحمد درايعية أدرار

(الجزائر)

مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

تاريخ النشر: 2023/06/02

تاريخ القبول: 2023/04/14

تاريخ الاستلام: 2022/11/07

ملخص:

الحماسة كلمة تهبُّ النفوس وتغيّر الأحداث وتصنع التاريخ والبطولات. فهي سمة الشجاعة والافتخار، وقوة النفوس للظفر والانتصار، تخرج من الهمة العالية والغاية السامية والإخلاص للنضية. سبق إليها شعراء أمثال "عنترة" و"المتنبي" و"أبي تمام" و"البحري" فحقّقوا البطولات ونقلوا الوقائع والأحداث العربية والإسلامية البارزة. لتعود اليوم مع المقاومة الشعبية الجزائرية؛ ومع الأمير عبد القادر الجزائري: العالم، المجاهد، الشاعر، الصوفي، انطلاقاً من صورته بلامحها البريئة وزينها التقليدي الزامز للشهامة والعظمة والنضحية. في جزئية من خطابه الشعري العربي لجنوده ليعبث فيهم الحماسة، ويصنع بهم التاريخ، في قصيدته "الباذلُون قُوسُهُمُ" بلفظ قوي صادق، وشخصية إيمانية واقفة، جعلتنا نتساءل: هل يمكن القول أنّ الأمير عبد القادر هو رائد الحماسة الشعرية المعاصرة؟ وإذا كان كذلك؛ فما هي بعض خصائص هذه الحماسة الشعرية؟ وكيف استطاع الأمير عبد القادر أن يؤكد حضوره الشعري إلى جانب حضوره الجهادي؟

الكلمات المفتاحية: الشعر، الأمير عبد القادر، الحماسة، المقاومة.

Abstract:

Enthusiasm is a word that shakes souls, changes event and makes history and victories, because it is the feature of courage and pride, and souls power to wining and victory. It comes from high motivation, lofty goal and devotion to the cause. Great poets such as: "Antara", "El Moutanabbi", "Abu Tammam" and "Bouhtouri" preceded in it and made victories and transferred the major Arabic and Islamic events.

That enthusiasm returned today, with the Algerian popular resistance and with El Emir Abdelkader, who was a scientist, moujahid, poet and soufist, with his portrait and innocent features and his traditional clothes which symbolize magnanimity greatness and sacrifice in a part of his poetic discourse for his soldiers to make them enthusiastic and make history with them, in his poem "El Bathilouna Noufousouhoum", with strong and honest words and a confident believing personality, which led us to ask : Can we consider "El Emir Abdelkader" the leader of modern poetic enthusiasm ? If so, what are some of

these poetic enthusiasms? And how could he affirm his poetic presence, side by side with his jihadist presence?

Keywords: Poetry; El Emir Abdelkader; Enthusiasm; Resistance.

مقدمة:

الشعر العربي الفصيح يفيض قوة وجزالة وفظانة، ويرتقي في الوجود ملاحه وصلابة وأصالة، لا يكاد يأفلُ نجمه حتى يطلع في حلة جديدة بديعة تنقصر ملامح زمانها، وتكشف جواهر أكباد روادها، وتعطي الاستمرارية الفنية في لوحاتها الجميلة تنتشر في ربي الحياة لتخفف بعض قساوتها وتحديد بعض معطياتها. وبؤصولنا إلى زمن البطولات؛ القرن التاسع عشر، ظهر رجل عبقرى في شعره، عبقرى في حربه، عبقرى في وضع أسس دولته؛ إنها الدولة الجزائرية الحديثة، الذي خرج من بوتقة القرآن والتصوف، ليبنى قبة الأمجاد والتصرف، ويضع طريق الوسطية والتألف، ويرسم للإنسانية أعظم المآثر للتعرف، إنه الأمير عبد القادر الجزائري. وهذا ما تبدى جليا في قصائده الواضحة المعالم، الملتزمة للمكارم، الغارقة في مخاطبة العقول وفي دغدغة قلوب سليمة المفاهم، المستمدة من عبق القرآن، وصفاء الطبيعة، وحقيقة الوجود، فكانت معانيها سامية تتألق في سماء الأدب الحديث، كركيزة حقيقة بحاجة إلى العناية والتفتيش، لفهم تاريخ أمة وجزور حضارة. نقف عند جزئية فنية من شعرته، نشأت معه بطوليا ونضاليا ووجدانياً، إنها الحماسة التي ضربت في أصول الشعر العربي لسوابق أبدعوا وأجادوا، وبعدهم لواحق استنطقوا واقع التجارب والبطولات فأفادوا، ففاضت لوعة وحنيناً، وفاضت قيماً من الصبر والشجاعة والوفاء. مما سمح لتجربة الحماسة الفنية أن تطفؤا على البنية النصية، فجعلت من صاحبها علماً للحماسة في الزمن الحديث. فهل حقيقة أنّ قصيدة الأمير عبد القادر "الباذِلُونُ نُفُوسُهُمْ" حملت بين طياتها ملامح الحماسة الوجدانية الصوفية والبطولية الجهادية؟ وكيف تجلت هذه الشخصية القيادية؟

1: مفهوم الحماسة :

حملَ الشِعْرُ العربي القديم بين معانيه أغراضاً وخصائص ميّزت بعض شعرائه لم يستطع أحدٌ أن يجارهم فيها، حتى عُذوا على الأصابع، ومنهم شعراء الحماسة. فما هي الحماسة؟
الحماسة لغة : عند الخليل بن أحمد الفراهيدي¹؛ مادة حَمَسَ = رجل أحمس؛ أي شجاع، وعام أحمس وسنة حمساء؛ أي شديدة، ونجدة حمساء؛ يريد بها الشجاعة، ويقال: أصابتهم سنون أحامس، والحمس؛ قريش، وأحماس العرب أمهاتهم قريش؛ كانوا متشددين في دينهم وكانوا شجعاء العرب لا يطاقون.
وفي لسان العرب لابن منظور² في مادتي حموس وحمس: يتكرر نفس المعنى مع زيادات في دلالات الكلمة منها: حموس = الشديد وجمعها الحمارس، والخماس اسم الأسد، والخمارس والزماحس والقُداحس هو الجريء الشجاع، وحمس الشر اشتد، وحمس بالشيء علق به، والحماسة المنع والمحاربة والشجاعة، والتحمس التشدد، وتحمّس القوم تحامّسا وحماسا تشادوا واقتتلوا، والأحمس المكان الصلب، والأحمس الورع من الرجال الذي يتشدد في دينه.

وفي كتاب اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر³، دلالات أخرى: حمس اللحم قلاه، وحمس الشخص أغضبه، وحمست الأرض صلبت، وحمس فلان بالشيء أولع به، وفي معجم النفايس⁴: احمؤمس الرجل احميماًساً.

وكلها دلالات تنبع من داخل الإنسان وتعبّر عن مواقف ثابتة وشدة حازمة، وتجربة قاسية، يتعدى مفعولها للآخرين فهي تحمل معاني الشدة والشجاعة والتعلق والمنع والحرب والصلابة والغضب، وما يشابهها من صفات نفسية عقلية عاطفية تخرج عن قصد وعن غير قصد، خاصة في ظروف الشدة والمعاناة. وهي صفات تُنبئ عن الخطر الداخلي القادم الذي يتجلى في صورة حميدة تعبر عن الشجاعة والمحبة، أو في صور ذميمة تعبر عن الغضب والقساوة المفرطة. وبهذا فالحماسة ملازمة لحياة الإنسان تخرج بدوافع نفسية أو اجتماعية أو غيرها. فعندما نقف على بعض المقولات الاجتماعية عن الحماسة ندرك حقيقة توغلها وتجدرها، وما لها من أهمية رغم الحذر والتمنع الذي يكتنفها ومن ذلك⁵:

1) الحماسة بركان لا تنبت على فقته أعشاب التردد؛ 2) لم يثر الموضوع أي حماسة؛ 3) الحماسة بلا معرفة نار بلا نور؛ 4) يحس الجمهور بمشاهدة كرة القدم.

فالمتعمّن في هذه المقولات يشعر بقوة الحماسة الحاضرة والغائبة بسبب العوامل المحفّزة، كما يكتشف أنّ لها اتجاهات سلبية وإيجابية تُحدّد من سياق الكلام. وهي قوة دافعة خارقة لتحقيق الانتصارات أو السقوط في التهورات. إذن فمدلولها اللغوي مرتبط بالجانب النفسي أكثر منه جوانب أخرى.

أما اصطلاحاً: فتعريفاتها قليلة رغم حضورها التاريخي المرتبط بالشعر وخصائصه الفنية، فهي تعريف عملي أكثر منه نظري ارتبط ببعض الشعراء وفرض نفسه في دواوينهم الشعرية. ومن ذلك نجد:

1- الحماسة "من أغراض الشعر العربي وموضوعاته الرئيسية، وتدور حول الإشادة بالأمجاد والانتصارات في الحرب والمثل الرفيعة"⁶

2- وهي "اسم مجازي لمجموعة من المختارات الشعرية سميت به من قبيل تسمية الكل بالجزء لأنّ الباب الأول من هذه المختارات يضم قصائد ومقطوعات في الشدة والشجاعة، فهي حلقة في سلسلة طويلة في عالم الأدب العربي وفق الذوق والقيمة الأدبية"⁷

3- و يعرفها البعض من جهة الوصف الشعري "ثم إنّ الشعر على اختلاف معانيه وأصوله ومبانيه ينقسم إلى نعت وأوصاف: فما وصف به الإنسان من الشجاعة والشدة في الحرب والصبر في مواطنها سمي حماسة وبسالة"⁸ فالحماسة قيمة وذوق وتجربة فنية تتوقّعت بين أغراض الشعر وأخذت الشهرة بالاسم، فكل شعر له ارتباط بالأمجاد والبطولات يدخل في الحماسة ويعطى انطباعاً تاريخياً يربّخ به الشّاعر الموقف العظيم بما يناسبه من الصور الفنية التي تعيد المشهد في كل قراءة أو وقفة استذكارية، وبهذا فالحماسة ذوق وموقف بطولي.

يُعتبر "أبو تمام" أوّل من استخدم مصطلح الحماسة، ويفضله بدأ المصطلح يأخذ موقعه في الساحة الأدبية فهو ذو خصوصية. فقد جمع "أبو تمام" أحسن ما وقع إليه من شعر العرب قراءة وسماعاً، فذاع بعده صوت الحماسة التي تضمنت قصائد من عيون الشعر العربي، ومن أبواب مختلفة أولها الحماسة، فغلب هذا الاسم فسميت به بعدئذٍ، رغم أنه سمي كتابه (الاختبارات من شعر الشعراء).⁹ هذا ما يرشدنا إلى أنّ هناك ميزة تخص شاعراً معيناً تتجلى في غرر قصائده يحس بها المتلقي أو الناقد ويتفاعل معها، فهي جس نبض القوافي ومعرفة دافعيتها العميقة القوية. فصطلح الحماسة أُطلق على اختيارات "أبي تمام" النقدية فكان بوابة جديدة ومحطة بارزة في التنظير النقدي.

فأبو تمام سيد الحماسة لأنه اختار ما استجاده من شعر العرب الأقدمين والمحدثين، ورتبه في ذلك الديوان على عشرة أبواب: أولها باب الحماسة وآخرها باب المدح والنوادر، وسماه بالحماسة لأنها أغدّر مادة وأجزل لفظاً وأفخم معنى.¹⁰

أما "البحري" فحماسته تخلو مما تنبو عنه الأسماع من الألفاظ البديئة، فليس فيها بيت واحد يمجه الذوق السليم، فإنّ البحري يلوّح في كل لفظة من مختاراته بأنّه ناقد صحيح للشعر بصير بمحاسنه.¹¹

وبهذه المقاربة الطفيفة تمتاز حماسة البحري عن حماسة أبي تمام بكثرة الأبواب لأنّ حماسة أبي تمام مؤلفة من عشرة أبواب وحماسة البحري مؤلفة من أربعة وسبعين ومائة باب، تتضمن المعاني الشعرية التي جرت على ألسنة شعراء العرب. وقد تبع البحري أبا تمام في شعريته إلا أنه أجاد سبك اللفظ على المعنى، استمد معانيه من وحي الجبال وجمال الطبيعة لا من قضايا العلم والمنطق، فأعاد للشعر ما ذهب من بهجته وروعته.¹² وما يمكن قوله أنّ البحري استفاد كثيراً من أبي تمام وخاصة من جهتين: من جهة الكم فزاد في الأبواب والنوع؛ ومن جهة الكيف حيث سحح في الطبيعة وتوّع في الخيال. ولكن يبقى أبو تمام الرائد المستكشف لهذه النظرة النقدية الجميلة التي أعطت إضافة للشعر العربي.

ومن الحماسات التي ظهرت كذلك¹³: 1-حماسة أبي عبادة البحري (ت284هـ)؛ 2-الحماسة للخالدين؛ 3- الحماسة لأبي هلال العسكري (ت395هـ)؛ 4-الحماسة للأعلم الشنتمري(ت476هـ)؛ 5-الحماسة الشجرية لأبي السعادات بن الشجري(ت542هـ)؛ 6-الحماسة لعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلبي (ت653هـ)؛ 7-الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن الفرج البصري (ت659هـ)؛ 8-حماسة الظرفاء للزوزني (ت779هـ).

وهنا لاريب من التعرّيج على الذوق الأدبي لتكتمل الفكرة، يقول أحمد الشايب "الذوق... يبلغ به الأمر إلى أن يصير ملكة تسبق العقل في الأحكام وتؤدّي عملها النقدي بطريقة تكاد تكون عادية أو آلية فتصدر عنه الملاحظات والفصل في المسائل الفنية دون أن يعرف صاحبه لشيء من ذلك علة وجهها، إنما هي صدى لما بعثته الأشياء في نفس الناقد من تأثر"¹⁴. وهذا ما حصل مع الانتقادات الشعرية الحماسية فتصدّرت الدواوين وترتعت على عناوينها، متخذة من قوتها الداخلية تأثيراً على الأدواق الأدبية الرفيعة للتقاد وعلى نفسيّتهم المرفهة حسياً والمتشعبة معرفياً، فكان الحماسة ركيزة أساسية من ركائز نقد النقد الشعري، وترتّب أبوابه، فهي قانون من قوانين النقد النصي بمختلف علاته يقول أحمد الشايب "ويظهر أنّ علة ذلك تنتهي إليه نفسية الناقد من تعقيد لم يشرح أو عبقرية في هذه الناحية سميت على القواعد الوضعية والقوانين العلمية"¹⁵.

الحماسة استتت اتجاهها نقدياً مهما يرتكز على الجوانب الحسية، ومنها الذوق الأدبي الرفيع الذي تميز به هؤلاء الشعراء وإلى جانبهم النقاد في غريلة الشعر والوقوف على الأحسن منه، فمصطلح الحماسة كان له دورٌ كبيرٌ في تطور النقد الأدبي العربي من باب التقسيمات الشعرية والملكات الدوقية.

2) إنسانية وشخصية الأمير عبد القادر:

الشخصية العربية الإسلامية مّزّت حياة الأمير عبد القادر في تربيته وسفريته وجهاده وغريته، فكان لا يفارقها ولا تفارقه وكان يزود عنها عندما تُمَسُّ أو تُحَدَّش وخاصة حينما كان في المعتقل لما أرادت السلطات الاستدمارية أن تستغل مكائته، فضرب أروع الأمثلة في الصمود مما جعل العدو يرضخ لهيبته وسلطانه. وقد تجلت هذه الشخصية المحافظة في شعر الأمير عبد القادر وأخذت أبعاداً عميقة وصلت إلى حد التشبع الصوفي والتواضع الحيثي بوجدان مليء بالحب والتعلق بالداوة والبساطة. دون إغفال المواقف الإنسانية الثابتة التي استمدتها من تربيته الإسلامية الصحيحة ووسطيته المعتدلة. يقول عبد الرزاق بن السبع في مقاله "أبعاد الرمز الصوفي في شعر الأمير عبد القادر" عن شخصية الأمير عبد القادر "شخصية تعتز بانتمائها العربي الإسلامي، إته الأمير عبد القادر الجزائري الذي نشأ في بيت علم وجاه وتصوف، ولم تكن نشأته هذه تؤهله للإمارة والحكم والجهاد، وهو الثالث الذي يبادر إلى الذهن كلما ذُكر عبد القادر بقدر ما كان ينتهي أن يكون مرابطاً كأيّيه"¹⁶. فقد تخطى المكانة التي صنعها أبوه إلى مكانة صنعها بنفسه وجهاده وتضحيتيه، رغم أنّ الخلفيات كانت مساعدة ومحفزة، وربما فُرِضت عليه بسبب الظروف التي واكبت حياته وهي قدوم المستدمر الفرنسي، وقد قدم إضافات عظيمة للجزائر وللأمة " الأمير كان يختصر في كيانه أمة بكاملها، ويوجز في حياته عصراً بكامله، فهو أشبه بمحيط يكلُّ أمامه البصر، فهو سليل رفيع وفارس مقدم ومجاهد مظفر ورجل دولة حصيف، وفقه ملم، وصوفي متبحر"¹⁷. اجتمعت هذه العوامل لتصنع شخصية الأمير التي كانت تطمح إلى المعالي وتطمح للبطولات والدفاع عن الدين والوطن. وأكبر ما يميز شخصيته هو الجانب الديني " شخصية الأمير الدينية التي يمكن وصفها بإيمان العوام فيها صدق العقيدة وبساطة التعبير وتتجلى هذه الصفة إذا وازنا بينه وبين شعراء الزهد والتزاهد من أمثال أبي العتاهية، وبينه وبين شعراء الإسلام الحديث مرة أخرى فالنوع الأول، يثير فينا التساؤل حول الصدق أهو زهد أم تزاهد؟ والنوع الثاني يثير فينا تساؤلاً: هل إثارة إعجابنا به تابع من صدق عواطف الشاعر أم قدرته على الإبداع الفني؟"¹⁸. وهذه التساؤلات ربما تحاول التشكيك في عمق هذه الشخصية التي تكاملت وتوسعت وقدمت تنازلات زادت من رسوخها واستمرارها. وما يميز هذه الشخصية الجانب الحوارية الذي رسم ملامح الشخصية الحوارية في الجزء الثالث من حياته عند تواجده بالشام، التي استنبطتها الدكتوراة "حسينة حمايد" من شعره انطلاقاً من إشكالية ما معنى الحوار بين الأديان؟ وما حقيقة الموقف الذي اتخذته الأمير عبد القادر من الصراع الذي نشب بين الطوائف في بلاد الشام؟¹⁹. وبهذا يتبين أنّ الحوار هو من أساسيات التكامل الحضاري الإنساني وباستخدامه يمكن حلحلة الكثير من الصعاب والعقبات، كما أعطى درساً قوياً في سماحة الدين الإسلامي ووسطيته وتموقعه بين الديانات والحاجة الماسة له لتوضيح الكثير من المغالطات وكشف برائين الحقد والظلم التي جعلت من البشرية العوجاء قوة للتفاخر والتفاضل واستعمال القوة والانصاف بالكمال العلمي، وهذا ما حمل أوروبا على تبني فكرة السلطة المطلقة والتعدي على الشعوب المغلوبة على أمرها تحت غطاء الحملات الصليبية بغرض التبشير. ولكن التاريخ شهد للأمير عبد القادر بالشخصية الحوارية

المسلمة المثالية التي تكون بلسماً للجراح ومفتاحاً للأفراح ووعواً عند الشدائد، كما يشهد له أنه استطاع أن يفرض نفسه في ظل وجود هذه الغطرسة الاستدمارية. تقول حسينة حمديد "التاريخ يشهد أن الأمير عبد القادر وهو في عز قوته كمحارب ومقاوم في الجزائر كان يتعامل مع أهل الذمة بما يرضي الله فعلاقته مع المسيحيين وبالرغم من الاستعمار كانت عقلانية ولم تتسم بالعصبية، فالأمير كان يعبر عن ذاتية خاصة وتفهم شخصي لروح الدين وحاجات العصر"²⁰. وهذا التجسيد نابع من مصدر ثقافة الأمير عبد القادر فهو عفوي التنفيذ، سماوي الهدف، إجتماعي الطرح، إنساني البعد "مصدر ثقافة الأمير عبد القادر منعها الشريعة الإسلامية والمنهاج القرآني والسنة النبوية، من منطلق أن الإسلام جاء للبشرية عامة وليس لقوم أو طبقة خاصة، وجاء للفرد والجماعة موقفاً بين النزوع للفردية والاتصاق الغريزي بالغيرية أو الاجتماعية دون النظر لانتماء عربي أو ديني"²¹. وهذه الشخصية تجلت بقوة حتى في ملكته وتجربته الشعرية التي قامت على النصح والحماسة والثبات على الموقف، وكان كثيراً ما يردد(الطويل)²²:

عَلَيْكَ بِشَرِّعِ اللَّهِ فَالْزَمْ حُدُودَهُ *** فَحَيْثُمَا سَارَ سِرٌّ وَإِنْ وَقَفَ قَفٌّ.

فَعَكَّرَ الأمير ومعتقداته واضحة نابعة من إيمانه وتصوفه المستمد من القرآن والسنة. وتظهر قوة شخصيته في شعره، يقول في ديوانه²³(الطويل):

إِذَا مَا أَشْتَكَّتْ خَيْلِي الْجِرَاحَ تَحْمُحُمَا *** أَقُولُ لَهَا صَبْرًا كَصَبْرِي وَإِجْمَالِي
وَأُبْدِلُ يَوْمَ الرُّزْغِ نَفْسًا كَرِيمَةً *** عَلَى أَهْلِهَا فِي التَّسْلِمِ أَعْلَى مِنَ الْقَالِي
فَمَا هَمَّتِي إِلَّا مَقَارَعَةُ الْوَدَا *** وَهَزْبِي طُغَاءٌ شَدِيدًا بِأَبْطَالِي.

فشعره يمثل بدايات الكتابة الحديثة وان كانت ملازمة للحقبة الاستدمارية، وقد كتب في مجالات عدة خاصة التصوف، يقول عبد الله الركيبي "أول شاعر جزائري حديث كتب في التصوف نثراً وشعراً وترك تراثاً ضخماً بالقياس إلى غيره من العلماء والشعراء في عصره وربما إلى من جاء بعده على تفاوت بينهم قلة وكثرة"²⁴. وبهذا ندخل عالم شعرية.

3) الأمير عبد القادر الشاعر:

بين طيات شعر الأمير عبد القادر تجد الأغراض القديمة والبطولات الوطنية، يبني القصيدة على قالب الخليلي، ويلبسها المعنى المعاصر، جامعاً بين التصوير الفني والتعبير المتين، واستطاع بملكته الشعرية التقلت من ريق التقليد إلى سلطة الواقعية والتجديد "الأمير عبد القادر في قصائد ديوانه طرق كل أبواب الشعر، من مدح وعتاب وفخر وتوسل، وتصوف، وتغزل، وتهنئة، ومطارحة، وما إلى ذلك من الأغراض الشعرية وزيادة على هذا امتاز بشيء آخر هو تصويره الصادق لحالة وطنه في روائع أشعاره وقصائده وجاء شعره صورة طبق الأصل لما يقوله الأدباء والكتاب اليوم في تعريف الشعر من أنه تصوير وتعبير"²⁵. ويعتبر الشعر من عوامل قوة شخصيته التي يقع بها ولازمها واستعملها في إبراز مواقفه وآرائه التي هزّت الهرطقة الاستدمارية الساعية للإطاحة به وتشويه حياته، وقد لعبت هذه الملكة الشعرية دوراً في حفظ المواقف الثابتة للأمير "وجاءت براعة الأمير الشعرية في كونه استطاع أن ينظم هذا الشعر ويتعاطى قريضة وهو ما يزال يافعاً دون الخامسة والعشرين من سنّه لم يسبق له أن تعلم موازين الشعر ومقاييسه ولا سبق تلقى أصوله ومبادئه على أستاذ خبير في فنون الشعر وأصوله"²⁶.

فالشعر عند الأمير عبد القادر بمثابة الروح للجسد، كان يرى الشعر من منتميات فخره، يجيز عليه الشعراء الذين يمدحونه بالعطايا، وأما أقرانه فكان يساجلهم الشعر مساجلة، وكان يردد كثيراً من (البسيط)²⁷:

إِذَا جَهَلْتُ مَكَانَ الشُّعْرِ مِنْ شَرَفٍ *** فَأَيُّ مَفْخَرَةٍ أَبَيْتُ لِلرَّحِبِّ.

له عدة فنون شعرية منها خمسة: الفخر، الغزل، المساجلات، المناسبات، التصوف، ففي فخره يستمد من عنتره والمنتبي؛ وفي غزله يشكو الهجران وآلام البعاد ويتمنى لقاء الحبيب ويحبل للتسليم التّحية ويسهر الليل ويسامر النجوم ومحبوبه ظبي الصحاري.

ويغلب الافتخار على شعره، إما بنسبه، أو ببطولاته، أو باتمائه للبادية، أو بمن طلب منه النجدة، ومن ذلك قوله مفتخراً على الزمان²⁸:

لَنَا فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ مَجَالٌ *** وَمِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ لَنَا رِجَالٌ
رَكِبْنَا الْمَكَارِمَ كُلَّ هَوْلٍ *** وَخُضْنَا أَبْجُرًا وَلَهَا رِجَالٌ

فما اقتطفناه من شعر الأمير عبد القادر تتجلى قوة شخصيته التي لم يتخل عنها بل أبرزها في كل المناسبات والخطابات، فهي شخصية تربي عليها بحكم بيئة أسرته القيادية والدينية والعلمية والطرقية، ليكتمل بناؤها في رحلته العلمية إلى المشرق، وأخيراً تستنى لها الظهور والرسوخ في مواجهة الاستعمار، فكان لزاماً على الأمير عبد القادر أن يحافظ على هذه الشخصية التي جعلت منه قائداً عظيماً.

4) قضايا من حياة الأمير عبد القادر:

إنّ المكانة القيادية والأدبية التي وصل إليها الأمير عبد القادر بكل ما تحمله من رصيد بطولي ومجاهبة فاخرة، دفعت الكثيرين للديسة عليه والتشويش في حياته الشخصية، رغم أنّ العاقل والمتأمل لسيرة الأمير من منظار بعيد يدرك صعوبة المهمة التي حملها الأمير والتي أخذت من وقته الكثير حتى لم يجد فرصة للتعبير عن ملكته الشعرية ولا التفرغ لطرقه الصوفية، والاهتمام بنشر العلم وتنشئة الأجيال، وهذا ما يجعلني أجمع بعض الدسائس متفردة، حتى يتسنى الاستفادة منها والوقوف عندها وتقنين أباطيلها والوصول إلى حقيقتها. يقول محمد السعيد قاصري "اعتقد أنه أن الآوان لإعادة النظر في هذه المغالطات التاريخية وتصويبها ومحاربة المبتدع منها، فكيف يليق بقائد ورمز وطني كالأمير عبد القادر الذي ندرسه لطبقتنا بالجامعة بروح علمية راقية جداً وعزة وشهامة في بداية الفصل ثم في نهايته نجد أنفسنا نشجب ونلغي كل مجهوداتنا بجرة قلم قائلين: إن الأمير استسلم"²⁹.

ومن القضايا الجوهرية تأليف الأمير كجزء مهم من حياته وشخصيته ولكن بنسبه ضئيلة وبحسب الحاجة، فمن مؤلفاته نجد³⁰:

- 1- كتاب المواقف : في ثلاث أجزاء وهو يختلف عن كتاب المواقف للنفري، كما أنه أقرب إلى كتاب الفتوحات المكية لابن عربي إلا أنه يفتقر إلى الترتيب والتنظيم، والتبويب وهو مطبوع؛
- 2- كتاب ذكرى العاقل وتنبية العاقل: موجه للمجتمع العلمي الفرنسي، يحث على النظر والتأمل وذم التقليد وفضل العلم والعلماء؛
- 3- ديوان شعر: له أكثر من عنوان (نزهة الخاطر) أو (التحفة) أو (ديوان الأمير)، يحوي قصائد في الغزل والفخر والشجاعة والتصوف ومراسلات شعرية طريفة بين الأمير وأصحابه؛
- 4- كتاب المقرض الحاد لقطع لسان الطاغى في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد: ألفه في سجن أمبواز وبين فيه شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- وما بها من مكارم الأخلاق ومناهج الشرع لإصلاح أمور الدنيا والآخرة للمسلمين ولغير المسلمين، وأوضح أنّ الإسلام جامع، والنبي بُعث رحمة للعالمين. إلا أنّ علي محمد الصلابي³¹: يشير إلى بطلان نسبة هذا الكتاب للأمير مستندلاً بأنه طبع في مصر بعد ثمان وعشرين سنة من وفاته على يد السيدة" نبيهة خانم زوجة محمود باشا الأرنؤوطي من دون دليل أن للأمير صلة به، وكتب بقلم "فراج بخيت" الذي لم يثبت نقله عن الأمير، إضافة إلى ما جاء فيه يناقض فكر الأمير في (المقرض الحاد)، فهو تشويش مدسوس.

كما نسبت له بعض الكتب منها³²:

- 1- وشاح الكتائب وزينة الجيش الغالب: هو لصاحبه قدور بن روية؛
 - 2- عقد الأحياد في الصافات الجياد: هو لابنه محمد بن عبد القادر؛
 - 3- المخطوط الكبير: هو للحاج مصطفى التهامي ابن عمّة الأمير.
- وفي هذا المجال تُبدي حفيذة الأمير عبد القادر "الأميرة بديعة" موضحة أنّ الأمير ألف المقرض الحاد ووشاح الكتائب وديوانه الشعري، كما له بعض المراسلات الشخصية والأجوبة عن بعض المسائل، وتبرنته من مذكرات الأمير، والمواقف، وذكرى العاقل³³.

ويبقى الحكم للمقاربات النصية بين كتب الأمير لمعرفة ما نسب إليه، خاصة بين كتبه الثلاثة "المقرض الحاد" و"المواقف" و"ذكرى العاقل". من خلال السؤال: ما هي خصوصية الكتابة عند الأمير عبد القادر؟ وقد يساعد مفتاح ثبات شخصية الأمير للولوج لهذه النصوص.

ومن القضايا الجوهرية كذلك التي حامت حوله هي: اتهامه بوحدة الأديان، ولكن كان يؤمن بوحدة الدين الإسلامي، ما كان يؤمن بوحدة الدين بقدر ما كان يؤمن بوحدة الدين الإسلامي فقد كتب على عملته التي صكها: الدين عند الله الإسلام، وذكر في كتابه المقرض عند ذكر اليهود لعنة الله عليهم ولما تكلم عن الأنبياء وصفهم بالمسلمين³⁴.

ومن القضايا الجوهرية كذلك التي حامت حول الأمير قضية استسلامه للعدو الفرنسي، وقد فندت الأميرة بديعة هذا المصطلح واعتبرته قيصية في حق الأمير وما قدمه للجزائر والذي حصل هو اتفاقية بينه وبين الجنرال الفرنسي (لامور سيير)، الذي وافق على شروط الأمير³⁵.

ومن القضايا التي حامت حول الأمير عبد القادر، اتهامه بتبني الماسونية، فإن كان صحيحا فهو ليس ترويحاً وإنما هي سياسة مجابهة المستدمر الذي لم يسمح بتطبيق شعار الماسونية أخوة ومساواة وعدالة، وقد استخدمتها أداة لتثبيت وجودها في الجزائر³⁶.

هذه القضايا وغيرها تبين مدى أهمية الأمير وقوة شخصيته، وكيف حاولت جميع الأطراف استغلال هذه المكانة سياسياً واجتماعياً وديناً، وتبين وضوح الطرح عند الأمير عبد القادر وحسن موافقه، وبهذا يمكن التعقيب من وجهة نظرنا:

(1) يبقى التأليف جانب جزئي في حياة الأمير لأن منهجه كان الميدان والممارسة من جهاد في الجزائر ومساعدة الضعفاء في سوريا، فمنهجه كان تأليف الرجال قبل تأليف الأفكار، والمتتبع لشعره يدرك سلامة فكره، ووضوح طرحه، رغم حضور الفكر الصوفي ومصطلحه.

(2) بطلان وحدة الأديان لأنها فكرة تتنافى مع عمق الفهم الديني عند الأمير عبد القادر، الذي جعله يتبنى الوسطية والتوافقية حتى في استقباله والتزامه ببعض أورايد الطرق الصوفية؛ مثل القادرية والشاذلية والنقشبندية. فمصدرها واحد هو الدين الإسلامي، ولو عُدت إلى المتشددين لأنكروا على الأمير أخذه من كل طريقة، إضافة إلى عدم وجود دليل يتنبه للمسيحية واليهودية والماسونية، وأما موافقه في دمشق فهي من باب الإنسانية.

(3) إن شعارات الماسونية في بداياتها كان مطلب كل الشعوب، لذلك قد لا يلام الأمير إن تبين أنه ارتبط بها، ولكن من تتبع تاريخ الماسونية قد لا يجد ارتباطها بحياة الأمير عبد القادر، ويبقى السؤال مطروحا: هل الأمير ارتبط بالماسونية؟

(4) استسلام الأمير يعد واقعا من المستحيلات، لأن فكرة الجهاد التي تنبأها تمنعه من الرضوخ والاستسلام، وتبقى معاهدة الاستسلام محط الكثير من علامات الاستفهام حول حياة الأمير وتاريخه العظيم وتضحياته الجسيمة.

(4) حماسة الأمير عبد القادر في قصيدته "الباذلون نفوسهم":

في مجلة "ألوان" العدد 54 سنة 1983، وفيها وقفنا على قصيدته "الباذلون نفوسهم" التي بعث بها الأمير إلى جيشه في جبال جرجرة للشكر والتشجيع، مما دفعنا لكتابة هذا المقال للتعرف على شخصية الأمير عبد القادر الحماسية و البطولية، وفي هذا العدد قد كتبت بعض المقالات بسبب الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر. وصفته الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة السورية بـ "الأمير الأسطورة" مبيّنة من أعماقها الوزن الثقيل الذي تركه الأمير عربيا وعالمياً قائلة " فرنسا في القرن التاسع عشر دولة ولا أعظم، وعبد القادر في القرن نفسه مجاهداً ولا أعظم، رجل يتحدى دولة بطل جعل الحشر من تحت أخمس البطولة، وقال للدنيا اضطربي، وما جت المعارك بالراسيات من جبال الجزائر طوال ستة عشر عاماً، كان خلالها مارداً في الحرب، عملاقاً في المقاومة"³⁷. لَحَيْتِه قَائِلَةٌ كَذَلِكَ " تقبل منا انحناء الإجلال، فقد كنت جليلاً بسيفك، جليلاً في قلمك، جليلاً في صلاحك وتقواك، وبأنك الجلالة بما اجترحت من أعجوبة الصمود في وجه الطغيان"³⁸. وفي نفس السياق: يبين جريري أحمد مفتش التعليم الأساسي لدائرة غريس في مقال آخر " نبذة عن حياة الأمير عبد القادر " أهم المعارك التي خاضها بعد تسلم القيادة وتشكيل الحكومة وتنظيم الجيش إلى ثلاثة فرق: فرقة المشاة، وفرقة الخيالة، وفرقة المدفعية، وسن القوانين واتخذ معسكر عاصمة للإمارة. فكانت أشهر معاركه: معركة خنق النطاح سنة 1832 قرب وهران؛ ومعركة المقطع واد بين آرزيو ومستغانم سنة 136؛ ومعركة سيدي إبراهيم بالقرب من الغزوات سنة 1845. ألحق هزائم بالمستدمر مما دفع بعض الجنرالات الفرنسية إلى التماس الهدنة تارة والمعاهدة مع الأمير تارة أخرى، وأشهر هذه المعاهدات: معاهدة ديميشال سنة 1834؛ ومعاهدة تافنة سنة 1838³⁹. وفي نفس السياق، يقول " الطاهر بن عائشة"، في مقال

"جوانب حساسة من حياة الأمير عبد القادر" موضحة استمرار بطولة الأمير في سوريا بتأسيس جيش موازي من الميزانية التي خصصها نابليون الثالث لعائلة الأمير عبد القادر وحاشيته" والجزء الباقي أسس به جيشاً بلغ تعداده 2800 جندياً، أثار هذا بعض مخاوف الجنرالات الفرنسيين ورفعت هذه القضية إلى المجلس الوطني الفرنسي في ذلك العهد للمناقشة، وكان موقف الأغلبية الاندهاش أمام هذا العمل ولكنهم قرروا أنّ الأمر لا يعنهم طالما أنه في المشرق وبعيداً عن الجزائر⁴⁰. وجعل رجاله جزائريين "كان يبعث بأعوانه في موسم الحج إلى الأرض المقدسة ينتقون له الشباب الجزائريين، الحجاج من لهم رغبة في التطوع في هذا الجيش"⁴¹. وبهذا ندرك حقيقة الأمير عبد القادر ووزنه وحماسته وقوته وتحمله للمسؤولية التاريخية في ظل وجود الاستعمار الفرنسي، فحماسته مجبولة فطرية تسعى للظهور والتجلي في جميع الأحوال والظروف، شكلت عقدة واضحة لفرنسا على الجبهتين: الداخلية لذلك لم تستطع القضاء عليه، والخارجية لذلك لم تستطع سجنه، بل أبعده ولكن بقي يلاحقها طيلة وجودها في الجزائر، فكان الأمير عبد القادر الملهم والزعيم البطولي والتاريخي والروحي للتضحيات الجزائرية بمقاومات شعبية حملت المشعل وحملت انتفاضة نوفمبرية حققت الاستقلال.

وبهذا نصل إلى الهدف المنشود من هذا البحث في ملامح الحماسة في شعر الأمير عبد القادر من خلال قصيدته "الباذلون نفوسهم" وهي دراسة سطحية لهذه النص الشعري نشد من خلالها شعرية القيم الملامسة للشعور والإحساس والمربية للأجيال، ونعتمد في ذلك على المناهج السطحية: التبع والتصد والوصف والإحصاء، لنترك الفرصة للباحثين للتعمق في جماليات هذا النص أكثر اكتشافاً لشعريته النصية من خلال المناهج العميقة: التعليل والتفسير والمقارنة والحجاج والتناص والرمز والتفكيك والبناء وغيرها من آليات المقاربة النصية. ربما تكشف حقيقة شعرية الصورة أو شعرية اللغة أو شعرية الرؤية. لتجتمع معطية شعرية النص عند الأمير عبد القادر. ويتقى هذا النص بجمالياته الفنية يحتاج إلى مقاربات ومقاربات.

والقصيدة تتكون من تسع وأربعين بيتاً⁴². وهي من بحر (الكامل) مطلعها:

- 1- يَا أَيُّهَا الرِّيحُ الجَنُوبُ تحملي..... مَيِّ تَحِيَّةَ مُغْرَمٍ، وَتَجَمَّةَ لِي
- 2- وَاقْرِ السَّلَامَ، أَهْيَلِ وُدِّي. وَآثِرِي..... مِنْ طَيِّبٍ مَا حَمَلْتَ، رِيحَ قُرْظَلِي.

إلى آخر ما يقول في قصيدته:

- 49- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ، مَا سَخَّ الحَيَا وَالْأَل، مَا سَيِّئَ سَطَا، فِي الجَحْفَلِ.

قصيدة تحمل بين معانيها عدوية الرقة وشدة المعاناة وصفاء الضمير وإخلاص العقيدة وجمال الطبيعة، تعبر عن شخصية قوية الطرح سليمة الذوق تتقلب بين وُدٍّ عميق ونصح رقيق، وتسرح في طبيعة ثقية بشهامة وعزة أبدية ميزانها التضحية والجهاد والقيم الإنسانية المستمدة من الروح الإسلامية. لتفيض عنفواناً وشباباً وحماسة مفتوحة لا تكل ولا تمل حاضرة عند القوة والضعف، عند القرب والبعد، في الحضور والغياب. رابطتها قوية بدأت منذ عقد الرايات وتحمل المسؤوليات، فصارت غرة للتاريخ ومفتاحاً للحريات وطريقاً للانتصارات. وبهذا فإن الحماسة الأميرية عقيدة جهادية جذورها وطنية وروحها إنسانية. واضحة من انتقاء العنوان "الباذلون نفوسهم" وتجسدت أكثر من خلال بعض المحاور منها:

1) الحنين وصدق المحبة: تتضح معانيها في بدايات القصيدة من خلال الأبيات (1-16) والتي جاءت كلماتها كلها رقة وعدوية وصفاء، على عهد القدماء، وعلى عهد الحب والوفاء، (تَحِيَّةَ مُغْرَمٍ... وَاقْرِ السَّلَامَ، أَهْيَلِ وُدِّي. ..بني الكرام...جفني، قَدْ أَلَّفَا الشُّهَادَ، لِيُنَبِّئَكُمُ..... سَهْرَانَ، دُو حُرْنَ...أَحْبَبِي.....وَعَايَبِي فِي جَمْعِ شَمْلِي.....حَاوَلْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ عَنْهُمْ.....أَرْبَابَ عَهْدِي، بِالْعُقُودِ الكَمَلِ.....تَقْدِيهِمْ نَفْسِي. وَتَقْدِي أَرْضَهُمْ..... أَقْدِي أَنَا سَأُ، لَيْسَ بُدْعِي عَيْزُهُمْ)، كلمات منتقاة تذيب الحشاشة وتعبر عن حنين يقطع الأحشاء وتعبر عن صدق ووفاء، وتدل على قوة الذكاء والشجاعة وكامل الاحترام، ومن قرأ الأبيات من غير معرفة بالمناسبة تصور عاشقين بينهما لوعة وفراق؛ ولكنها الحرب في أوج عطائها، إنها القيادة المتميزة للأمير عبد القادر، والتي ذابت فيها الرتب، وطفحت فيها القيم، فرسمت لنا صورة الحياة في أسمى معانيها بساطة وسماحة واستبصار، فكان للأخوة صدق الحضور، وكان النفع قبل الضر، وكان لتشتيت العواطف الروحية قوة للمّ الشمل وتوحيد الصف وتحقيق البطولات، إنها حماسة الحب التي خاض

غمارها عنثرة أيام شبابه يوم كانت عبلة مهمته، وكانت سيدة قلبه، فتصدى لكل خاطب وجعل رحمه فداها. والأمير عبد القادر يخوض غمارها غير مبالٍ بويلاتها وأخطارها.

(2) الصبر والشجاعة والفخر والاعتزاز بالنفس: وبصفاة القلوب، وطيب اللسان، يزداد التعلق، وتترنل النفوس للحق، وتتوحد الرؤا، فتعلو قيمة الإنسان ويشجع صبراً وشجاعة ويزيد فخراً واعتزازاً، وهذا ما نلمس بعض جوانبه في الكلمات التي بنى عليها الأمير أجزاءً من قصيدته، مفتخراً بصنيع أبطاله ومبتياً مدى صدقهم ووفائهم، ومن أمثلة ذلك (حَمَلُ الْبُؤَاءِ..... هُمْ بِالْمَدِيحِ أَحَقُّ،..... جَادُوا بِبَدْلِ النَّفْسِ...الْبَاذِلُونَ نَفْسَهُمْ،الصَّادِقُونَ الصَّابِرُونَ، الْحَامِلُونَ، التَّازِلُونَ بِكُلِّ صَنْكٍ..... مَا مِنْهُمْ، إِلَّا شَجَاعٌ قَارِعٌ...كَمْ نَافَسُوا، كَمْ سَارَعُوا، كَمْ سَابَقُوا، كَمْ حَارَبُوا، كَمْ صَارَبُوا، كَمْ غَالَبُوا، كَمْ صَابَرُوا، كَمْ كَابَرُوا، كَمْ غَادَرُوا، كَمْ جَاهَدُوا، كَمْ طَارَدُوا، وَتَجَلَّدُوا، كَمْ قَاتَلُوا، كَمْ طَاوَلُوا، كَمْ مَاحَلُوا، كَمْ أَدْلَجُوا، كَمْ أَرْعَجُوا، كَمْ أَسْرَجُوا، كَمْ سَرَدُوا، كَمْ بَدَدُوا، وَتَعَوَّدُوا.....فَدِمَاؤُهُمْ، وَسُيُوفُهُمْ، مَشْفُوحَةٌ....لَا يُخْرِنُونَ لِهَالِكٍ)، فاختار الكلمات الفخرية والحماسية المناسبة، وندن قلوبهم بالمعاني الصنديدة الرعدية، فإذا هبت الريح هبوا معها ببذل نفوس وتحمل وصبر، منافسين في الحرب والضرب والسرح لا ينامون ولا يستريحون، وقد تركوا الراحة والسكينة وتعودوا دمار الحرب وهلاكها. فخطابه دواء نفسي وصرخة مدوية تنسي التكاسل والخمول وتحث على المواصلة للوصول، وتؤكد عظمة النعمة وأنت بين مخالب الحرب، فلا تتراجع، وترتبخ في النفوس كل الانجازات والمحطات التاريخية. فبين تسارع الزمن ونبضات القلب وصبر ساعة تعيش الحماسة بقيمها الثابتة، في ثوب البذل والصبر والصدق وطهارة الدماء.

(3) أثر الدعاء وشدة التعلق بالله: ويستمر الأمير في خطابه التحفيزي ليذكر أن الحياة الجهادية طريق السمو والعلو لمرضاة الله، لذلك اتخذ من الدعاء وسيلة معنوية للتثيت والدعوة للانتصار، معبرا عن حاجته لله ومتجرداً من قوته، وهي رسالة تذكير للمغرورين بالمعين الحقيقي، فالتعلق بالله في مواطن الشدة من أكبر المقويات والمشجعات للوصول إلى الأهداف، وبهذا ندرك الرقي الروحي للأمير في جميع محطات حياته، وقد ظهر هذا حتى في خطاباته الدينية، وقصائده الشعرية، وهنا ندرك أبعاد حماسته الحقيقية المستمدة من المرجعية الدينية، والطرق الصوفية، والتربية البطولية التي سلّمت له في ريعان الشباب وفي أحلك الظروف، ومن الكلمات الدالة على حماسته الإيمانية، (يَارَبِّ إِنَّكَ فِي الْجِهَادِ أَقَمْتَهُمْ..... يَارَبِّ يَارَبِّ الْبَرَايَا رَدَّهُمْ صَبْرًا، وَنَصْرًا....وَأَفْتَحَ لَهُمْ، يَا مَوْلَايَ فَتْحًا يَتَبْنَا وَاعْفُزْ، وَسَامِحْ، يَا إِلَهِي عَجَلْ....يَارَبِّ يَا مَوْلَايَ وَاقْتِهِمْ قَدَى...وَتَجَاوَزَنَّ، مَوْلَايَ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ.....يَارَبِّ وَاشْمَلُهُمْ بِعَفْوِ دَائِمٍ.....يَارَبِّ لَا تَنْرُكْ وَضَيْعًا فِيهِمْ يَارَبِّ وَاشْمَلُهُمْ بِخَيْرِ تَشْمَلٍ....مُتَوَسِّلًا....مُنْشَقِعًا، بِشَفِيعِ كُلِّ مُكْمَلٍ.....لِمُحَمَّدٍ، عَيْثَ التَّنَادَا.....صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ، مَا سَحَّ الْحَيَا)، وبهذا ملك القلوب وحققت انتصارات وحافظ على القيم وربط الهمم بخاتم الأنبياء والرسل، الذي هو جده -صلى الله عليه وسلمأ. لتبقى الجزائر محمدية.

خاتمة:

ويبقى السؤال مطروحا في جوانب متعددة من حياة الأمير، وإن كان واضحا في شعره ارتباطه بالتراث، وسلامة قريحته، وعمق عقيدته، وصدق تضحيته، فهو عالم عامل، مجاهد صوفي، رجل الحماسة والبطولات ورجل الجزائر بجدارة واستحقاق، لا يترك الغبار خلفه، ولا يعطي الدنية من نفسه ووطنه ودينه، تجسدت معالم حماسته النضالية في شعره، وخاصة في قصيدته "الباذلون نفوسهم" والتي نخلص من خلالها إلى حقيقة شخصية الأمير الحماسية في صرامتها وعفويتها، فدخل غمار الحرب بشجاعة وقوة وبغية الاستشهاد، ويدخل دماء الفرائس بوفاء وعفة وتغزل، ويدخل غياهب السجن بالرضى والصبر والنصح للعدو، ويدخل الحياة الإنسانية بالحوار والوضوحية، شعاره الإنسانية قبل الدين؛ وكلها ركائز تشير إلى عمق الحماسة وتشعبها، والتي هي بحاجة إلى تتبع ووقوف أكثر، لكشف جزئياتها، ومنه نخلص إلى:

- الحماسة مصطلح ذوقي في، وعمل بطولي تاريخي، ساهم في تطور النقد الأدبي العربي من باب التقسيمات الشعرية والملكات الذوقية ارتبط بالشعر القديم والحديث؛

- تتجلى قوة شخصيته الأمير عبد القادر من تربيته الأسرية القيادية والدينية والعلمية والطرق الصوفية، حافظت على مكائنها، وفرضت وجودها، وحققت أمجادها؛

- ألف الأمير عبد الكتب والرجال بسلامة فكر، ووضوح طرح، متبنياً الوسطية والتوافقية و مستفيداً من الطرق الصوفية؛ القادرية والشاذلية والنقشبندية وغيرها من المرجعيات الدينية، رغم ما لحقه من اتهامات فلسفية قد لا تجد لها أثراً في حياته.

- قوام حماسة الأمير في قصيدته "الباذلون نفوسهم" مستمدة من الواقع، ومن القيم كالحنين وصدق المحبة؛ ومن صبر رجاله ووفائهم واعتزازه وفخره بهم؛ ومن إخلاصه في الدعاء لهم وشدة تعلقه بالله وطريق الجهاد، وهذا راجع للعوامل المؤثرة في نبوغه من القرآن الكريم، والتصوف، وقيادته المبكرة، وملكته الشعرية المستمدة من ملكته العلمية. فرحمك الله يا زعيماً خلدت نفسك ووطنك ورسمت طريق الحرية للإنسانية.

وأخيراً لقد حملت القصيدة من مصطلحاتها شعرية القيم الإنسانية، لتفتح الباب على مختلف الشعريات كشعرية التناص، وشعرية اللغة، وشعرية الحرب، وشعرية الصورة، وشعرية الذوق، وشعرية الرؤية...فتكتمل شعرية النص اللادبي أو النص الصوفي عند الأمير عبد القادر من خلال تتبع آثاره.

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر والمراجع:

- 1- ابن الشجري، الحماسة الشجرية، تح: عبد المعين الملوي وأسماء الحمصي، د ط، د ت، وزارة الثقافة، دمشق.
- 2- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد علي الكبير وآخرون، د ت، د ت، دار المعارف، القاهرة.
- 3- أبو تمام، ديوان الحماسة، تح: عبد المنعم أحمد صالح، د ط، 1980، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق.
- 4- أبو عبيدة البحرني، الحماسة، ض: كمال مصطفي، ط1(1929)، المطبعة الرحمانية، مصر.
- 5- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ط2، د ت، مكتبة النهضة المصرية.
- 6- أحمد كمال الجزار، المفخر في معارف الأمير عبد القادر، والسادة الأولياء الأكبر، ط1(1417هـ-1997م)، منتدى سور الأزبكية.
- 7- أحمد مختار عمر، اللغة العربية المعاصرة، مج2، ط1(1429هـ-2008م)، عالم الكتب، القاهرة.
- 8- أشرف أبو قفاة، معجم النفاثس الوسيط، ط2(1432هـ-2011م)، دار النفاثس.
- 9- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، عاصم إبراهيم، ج1 ط1(1425هـ-2004م)، دار الكتب العلمية، لبنان.
- 10- الأمير عبد القادر، الديوان، تح: ممدوح حقي، د ت، د ط، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة.
- 11- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري، (المجاهد الصوفي)، د ت، د ط، جامعة عين الشمس.
- 12- بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، ط2(1406هـ-1986م)، دار النفاثس.
- 13- الخليل، العين، تح: عبد الحميد هندواوي، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان.
- 14- سيد علي المرصفي، أسرار الحماسة، ج1، ط1(1330هـ-1912م)، أبي هول، القاهرة.
- 15- صدر الدين علي، الحماسة البصرية، د ت، د ط، د د ن.
- 16- الصلابي، موسوعة كفاح الشعوب - كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر- تاريخ الجزائر ما قبل الحرب العالمية الأولى - د ت، د ط، دار المعرفة، بيروت.
- 17- عبد الله الركبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، د ط، 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 18- نزار أباطة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ط1(1414هـ-1994م)، دار الفكر، دمشق.

2-المجلات:

- 1- جريري أحمد، نبذة عن حياة الأمير عبد القادر، مجلة ألوان، العدد54، 1983. الجزائر.
- 2- حسينة حمديد، الأمير عبد القادر الجزائري منشد الحوار بين الديانات- الدور الريادي في بلاد الشام- مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 2008/18، الجزائر.
- 3- عبد الرزاق بن السبع، أبعاد الرمز الصوفي في شعر الأمير عبد القادر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الحاج لخضر باتنة، العدد 2013/14، الجزائر.
- 4- محمد السعيد قاصري، الأمير عبد القادر في ذاكرة الأحفاد -الأميرة بديعة الحسنني الجزائري نموذجاً- مجلة منتدى الأساتذة جامعة قسنطينة، العدد11-2011. الجزائر.
- 5- المطاهر بن عائشة، جوانب حساسة في حياة الأمير عبد القادر، مجلة ألوان، العدد 54، 1983، الجزائر.
- 6- نجاح العطار، الأمير الأسطورة، مجلة ألوان، العدد54، 1983، الجزائر.

الهوامش:

1 ينظر، الخليل، العين، تح: عبد الحميد هندواوي، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ص356. باب الحاء.

- 2 ينظر، ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد علي الكبير وآخرون، دت، دت، دار المعارف، القاهرة، ص(994-995)، مادة حموس، خمس.
- 3 ينظر، أحمد مختار عمر، اللغة العربية المعاصرة، مج2، ط1(1429هـ-2008م)، عالم الكتب، القاهرة، ص(558-559)، مادة: ح م س.
- 4 ينظر، أشرف أبو قحافة، معجم النفاثس الوسيط، ط2(1432هـ-2011م)، دار النفاثس، ص279.
- 5 ينظر، أحمد مختار عمر، السابق، ص558.
- 6 أحمد مختار عمر، السابق، ص559.
- 7 ابن الشجري، الحماسة الشجرية، تح: عبد المعين الملوي وأسماء الحمصي، دط، دت، وزارة الثقافة، دمشق، مقدمة.
- 8 صدر الدين علي، الحماسة البصرية، دت، دط، ددن، (www.allkottob.com)
- 9 ينظر، أبو تمام، ديوان الحماسة، تح: عبد المنعم أحمد صالح، دط، 1980، منشورات وزارة الثقافة، العراق، مقدمة.
- 10 ينظر، سيد علي المرصفي، أسرار الحماسة، ج1، ط1(1330هـ-1912م)، أبي هول، القاهرة، مقدمة.ح.
- 11 ينظر، أبو عبادة البحرني، الحماسة، ض: كمال مصطفى، ط1(1929)، المطبعة الرحمانية، مصر، مقدمة.
- 12 ينظر، نفسه، مقدمة
- 13 ينظر، أبو تمام، السابق، ص6
- 14 أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ط2، دت، مكتبة النهضة المصرية، ص(141-142).
- 15 أحمد الشايب، نفسه، ص142.
- 16 عبد الرزاق بن السبع، أبعاد الرمز الصوفي في شعر الأمير عبد القادر. مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الحاج لخضر باتنة، العدد 2013/14، الجزائر، ص64.
- 17 عبد الرزاق بن السبع، نفسه، ص64.
- 18 عبد الرزاق بن السبع، نفسه، ص79.
- 19 حسينة حماميد، الأمير عبد القادر الجزائري منشء الحوار بين الديانات- الدور الريادي في بلاد الشام- مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 2008/18، الجزائر، ص42.
- 20 حسينة حماميد، نفسه، ص53.
- 21 حسينة حماميد، نفسه، ص56.
- 22 ينظر، الصلابي، موسوعة كفاح الشعوب (كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير الأمير عبد القادر- تاريخ الجزائر ما قبل الحرب العالمية الأولى)، دت، دط، دار المعرفة، بيروت، ص539.
- 23 الأمير عبد القادر، الديوان، تح: ممدوح حقي، دت، دط، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، ص21.
- 24 عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، دط، 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص241.
- 25 بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري، (المجاهد الصوفي)، دط، دت، جامعة عين الشمس، ص48.
- 26 عبد الله الركيبي، نفسه، ص48.
- 27 ينظر، الأمير عبد القادر، الديوان، ص(10-11).
- 28 ينظر، الأمير عبد القادر، نفسه، ص15.
- 29 محمد السعيد قاصري، الأمير عبد القادر في ذكرة الأحفاد -الأميرة بدبعة الحسيني الجزائري نموذجًا- مجلة منتدى الأساتذة جامعة قسنطينة، العدد11-2011، الجزائر، ص59.
- 30 ينظر، أحمد كمال الجزائر، السابق، ص40.
- 31 ينظر، علي محمد محمد الصلابي، السابق، ص(539-544).
- 32 ينظر، أحمد كمال الجزائر، السابق، ص41.
- 33 ينظر، محمد السعيد قاصري، السابق، ص60.
- 34 ينظر، محمد السعيد قاصري، السابق، ص74.
- 35 ينظر، محمد السعيد قاصري، السابق، ص59.
- 36 ينظر، حسينة حماميد، السابق، ص68.
- 37 نجاح العطار، الأمير الأسطورة، مجلة ألوان، العدد54، 1983، الجزائر، ص23.
- 38 نجاح العطار، نفسه، ص24.
- 39 ينظر، جريري أحمد، نبذة عن حياة الأمير عبد القادر، مجلة ألوان، العدد54، 1983، ص(24-26).
- 40 المطاهر بن عائشة، جوانب حساسة في حياة الأمير عبد القادر، مجلة ألوان، العدد 54، 1983، ص30.
- 41 المطاهر بن عائشة، نفسه، ص30.
- 42 مجلة ألوان، العدد54، 1983، ص27-28-